جامعة الأزهر
مركز صالح عبد الله كامل
للاقتصاد الإسلامي

Al-AZHAR UNIVERSITY
S.A. KAMEL CENTER
FOR ISLAMIC ECONOMICS

مؤتمـــــر

رعاية وتنمية الثروة الحيوانية
في الحضارة الإسلامية والنظم المعاصرة

في الفترة من ٨-١٠محرم ١٤٢٥هـ الموافق ٢٨ فبراير- ١ مارس ٢٠٠٤م

الحيوان فى الحضارة الإسلامية

إعـــــــداد

الأستاذ الدكتور/ عبد الحكيم عبد اللطيف الصعيدى

كلية الزراعة - جامعة الأزهر

مدينة نصر- القاهرة - جمهورية مصر العربية تليفون ٤٠٣٧٥١٤-٢٦١٠٣٠٨ - ٢٦١٠٣١١ - تليفاكس ٢٦١٠٣١٢
Nasr City, Cairo, Egypt, Tel.: 4037514-2610308 - 2610311, TelFax: No. 2610312
www.SAKC.gq.nu E-mail: salehkamel@yahoo.com

بين يدى الموضوع

منذ بزغ فجر الحضارة الإسلامية فى دنيا الناس، وانتشر فى الخافقين ستاها، وهى تقدم للدنيا كل جديد وكل مفيد، فى مختلف مجالات الحياة، ولا يقتصر ذلك على مجال بعينه، ذلك لان هذه الحضارة معنية بالعمل على استنهاض القوى الذاتية للبشر، والعمل على اعادة صياغة الإنسان ، من منطلق إيمانه بربه ، الذى بيده مقاليد كل شيء هو على كل شئ قدير ولا غرابة فى ذلك كله فحركة الإنسان فى الحياة تعتمد على دستور الهداية الربانية وهو القرآن الكريم، وعلى الهدى النبوى الذى ينبع من مشكاة الكتاب العزيز .

ومما لاشك فيه أن هذين المصدرين هما النبع الصافى والأساس القويم لإصلاح أحوال البشر عقيدة وسلوك، فكراً وعملاً، ويمتد ذلك ليشمل العلوم الأساسية والنواحى التطبيقية وقد توفر لذلك بفضل الله أجيال من الرواد الذين حملوا ألوية العلم والحق بهمة الرجال واقتدار الأبطال رافعين مشاعل الهداية والتنوير محلقين فى سماوات المجد الإنسانى العظيم ضار بين أروع الأمثلة على نكران الذات، وقد تجلت فى أذهانهم شمولية النظرة مشفوعة بالعمق والواقعية، وقد تأيد ذلك من خلال الممارسات العملية المعاشة التى أسفرت عن صدق التطبيق فضلا عن واقعيته ودقته.

ونحن حينما نجبل النظر ونعمل الفكر محلقين فى سماوات منجزاتهم القيمة وحينما نتجول فى رياض أعمالهم فإننا نجدهم يصدرون عن قناعة كاملة تعتمد على أرضية صلبه من تواصل عطاءات الفكر البشرى المدعوم بهدايات السماء فالعلوم الكونية والمعارف البشرية فى شتى مجالات الحياة ليست حكراً على فكر دون فكر وليست وقفاً على أمة دون أمة وإنما هى متاحة لكل البشر ويجيب أن تبذل لكل طالب مادام يبغى من ورائها الخير له ولغيرة وذلك من حيث الاستفادة بمعطيات هذا الفكر والانتفاع بثمراته ، والعمل الجاد على تجديده وتجويده إثراءً للمعارف البشرية والعلوم الإنسانية ومواكبة لسنة التقدم البشرى فى شتى المجالات وفى مختلف الميادين، وهى من قبل ومن بعد شحذ لهمم المبدعين، وسمو بعقل العقلاء، وفكر المفكرين، مع الأخذ فى الاعتبار أن كل هذا لاينقص من قدر المستفيد ولايفتات على المبتكر فللمبتكر فضل ابتكاره وسبقة، فهذا كله هو نتاج العقل الجمعى لبنى البشر، وتأسيساً على ذلك كله وغيره معه يمكننا القول بأن الحضارة الإسلامية لم تكن مجرد نقل لحضارة الغير فالأمة الإسلامية أمة صانعة حضارة، وهذا كله بفضل تمسكهم بمبادئ الإسلام فقد شمروا عن سواعد الجد وراحوا يعمرون الدنيا بكل نافع ومفيد، الأمر الذى تغفله صفحات التاريخ المنصف بل

أن الدنيا قد شهدت لهم بالالمعية والعبقرية والابتكار مما كان له اكبر الأثر فى استفادة اهل الأرض قاطبة بهذه المنجزات التى حفلت بها الحضارة الإسلامية الغراء.

وإننى إذ أشارك فى هذا المؤتمر بهذا البحث المتواضع فإننى أود أن أبرز موقف العالم الإسلامى منذ الفتوحات الإسلامية بالنسبة للثروة الحيوانية وكيف كانت نظرتهم إليها، وكذلك تلك الأعمال التى قاموا بتطويرها والاستفادة بها فى صورة رائعة ومتطورة مشيراً إلى استفادتهم الجيدة بتوجيهات القرآن الكريم وعطاءات السنة النبوية الرائعة فى هذا المجال، والعمل الجاد والمستمر على إشباع حاجات الشعوب من هذه الموارد الهامة، ولما كان الموضوع متعدد الجوانب والحديث عنه ذو شجون فإننى سأركز على هذه النقطة مقارنة بالنظم المعاصرة، حتى يتضح لنا أهمية الدور الذى اطلعت به الحضارة الإسلامية فى العناية بالثروة الحيوانية من حيث العمل على رعايتها وتنميتها، وإحقاقا للحق فاننا نقول: إن هذه المنتجات كانت الاساس المتين الذى أعتمدت عليه الحضارة الحديثة فى إرساء دعائمها .

وقد رتبت هذا البحث على هذا المدخل وعلى ثلاثة عناصر وهى:

أولاً: دعوة الإسلام إلى الاهتمام بالثروة الحيوانية .

ثانياً: أهمية الثروة الحيوانية بالنسبة للإنسان .

ثالثاً: منجزات الحضارة الإسلامية فى مجال الثروة الحيوانية .

أولا : دعوة الاسلام إلى الاهتمام بالثروة الحيوانية:

يتضح لنا ذلك جليا واضحا من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وذلك على النحو التالى :

١ – حديث القرآن الكريم عن الحيوان :

إن حديث القرآن الكريم عن الحيوان حديث واف مستفيض لايقتصر على مجرد السرد أو الوصف بقدر ما يعنى بالغرض والحكمة من وراء ذلك كله ، فقد يذكر الحيوان الواحد فى عدة مواضع من الكتاب العزيز، ومع هذا فإن ذكره فى كل موضع له هدف ووظيفة وبتتبع هذه المواطن وتلك الأماكن فإننا نستطيع ان نفهم الرسالة التى من اجلها ورد ذكرها هذا الحيوان او ذاك فما كان من هذه الحيوانات ذا فائدة خاصة اعتنى به القرآن وبين لنا من صفاته الكثير والكثير أو ما كان منه دون ذلك تم الاقتصار فى ذكره على ما تدعو اليه الحاجة، وسنضرب لذلك بعض الامثله التى توضح هذه الغاية نظرا لعلمنا المسبق عن أن

موضوع الحيوان فى القرآن الكريم هو بحث بذاته ويتضح لنا صدق ما نزعمه من المثالين التاليين:

أ ــ حديث القرآن الكريم عن النحل:

يقول الله تعالى: ﴿واوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون﴾ (النحل: ٦٨ و٦٩) ففى هتين الآيتين استقصاء لجوانب حياة هذا النوع الحيوانى ، من حيث سلوكه الغذائى وموطن سكناه ، وذكر أوصافة، مع بيان فوائد منتجاته ، كل ذلك فى صورة من البيان الرائع الذي يدل في البداية علي شرف هذه المخلوقات من حيث الوحى اليها والذى يعنى هنا تمام فطرتها واكتمال هدايتها لتدبير أمر معاشها ، كما أشارت الآيتان فى بيان رائع إلى إمكانية استئناس النحل وتدجينه من خلال تنوع مساكنه ، فهو وإن كان يعيش فى الطبيعة بصورة برية يسكن الجبال ويسكن الأشجار فإنه من الممكن استئناسه وتدجينه وتعويده سكنى التعريشات التى يهيئوها له ينو الإنسان ، من نحو الخلايا البلدية الطينيه والخلايا الخشبية الحديثة وقد تحقق هذا فى الواقع العملى وتحت الدراسات المستضيفة لتحسين سلالات النحل عن طريق التربية والتهجين ، والحديث عن فوائد النحل ومنتجاته من الناحية الغذائية والعلاجية قد أضحى حديث كل الناس، فالأشربة التى تخرج من بطون عاملات النحل على تعددها وتنوعها فيها الخير الكثير وإن كان العسل يقف منها جميعا موقف الصدارة ، والوحى يقتضى الحياة الاجتماعية، وحياة النحل قد بلغت فى ذلك حدا بعيدا فهناك الملكة أم الخليه، وهى المسئولة عن ضبط إيقاع العمل فى الخليه هذا فضلا عن تقسيمه كما أنها هى المعنية بوضع البيض الذى ينتج الصغار، وحتى نقف على ضخامة مسئولية هذه الأم فان مقدار أفراد الخلية أو الطائفة الواحدة يكون من ٥٠ إلى ٧٠ ألف فرد يغدون ويروحون ويسرجون ويمرحون فى صورة رتيبة أضبط من حركة عقارب الساعة كل قد علم صلاته وتسبيحه ، وهناك العاملات وهى التى تكون السواد الأعظم فى الطائفة، وهناك بضع مئات فى كل طائفة من الذكور التى لا وظيفة لها إلا تلقيح الملكة ، فلا حياة لكسول ولا لخامل فى هذه المملكة العجيبة الغريبة التى جعلها الله اية لعباده المؤمنين المفكرين المتدبرين .

ب ــ حديث القرآن الكريم عن الفيل:

الفيل حيوان ضخم معروف للجميع، ولكن لما كانت البيئة العربية لا تعرفه ولا عهد لها بترويضه والاستفادة به ، وكانت أول نظرة إليه كانت نظرة تتسم بالعدوانية والشر يوم أن توجه أبرهة الحبشى لهدم الكعبة على هذا الحيوان فإن حديث القرآن عنه جاء مقتضباً بل وفى غاية الاقتضاب ، وعلى سبيل الإضافة لأصحابة كما ورد فى سورة الفيل فى قول الله تعالى ﴿الم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الآية رقم (١).

ونحن نرى من خلال هذا العرض الموجز لهذين المثالين أن النحلة على ضآلة حجمها جمة الخير عظيمة المنافع ، عالمية الانتشار ، يمكن أن يستفادبها ومنها فى سائر البقاع ومختلف الأصقاع ، أما الفيل على ضخامته فليس عالمى الانتشار وإنما يرتبط وجوده ببعض المناطق دون بعض هذا فضلاً عن احتياجاته الغذائية المرهقة والمكلفة .

٢. الحيوان فى السنة النبوية :

وقد حفلت السنة النبوية المشرفة بالحديث عن الحيوان بصورة غير مسبوقة ، فقد تكفلت ببيان كثير من الأحكام الشرعية المتعلقة بالحيوانات من حيث الحل والحرمة فى الحيوانات البرية والبحرية، والطهارة والنجاسة، وما يذكى من الحيوان وما لايزكى وما لازكاة فيه، كما تكفلت ببيان قدر النصاب وأحكام الإجازة وضمان المتلفات واحكام الصيد والذبائح والأضحية، ومن الطريف انها أبطلت كثيراً من الأحكام الخاصة بعمر الحيوان وسنة فقد اشترطت على سبيل المثال أن يكون عمر الحيوان فى الأضحية سنة فى الضأن والماعز ، وسنتين فى البقر والجاموس ونحوها ، كتوجيه غير سبوق يهدف بالدرجة الأولى الى ترشيد استخدام الثروة الحيوانية ، وهو مالم تعرفة النظم الحديثة الا مؤخرا ، فمن المعلوم ان نسبة التشافى فى الحيوان الكبير السن تكون أعلى منها فى الحيوان الصغير .

كما اهتمت السنة النبوية بجانب على درجة كبيرة من الأهمية ألا وهو موضوع الرفق بالحيوان وحرمة إيذائة والتحريش بين البهائم وكل هذه أبواب مقررة وثابته فى الفقه الإسلامى وهى غير مسبوقة فى تاريخ البشرية ، وهذه الأسس قد اعتمدت عليها النظم الحديثة ، فقد اقتبست منها وجعلتها أسسا لتشريعاتها فى هذا المجال كجمعيات الرفق بالحيوان ونحوها ، إلا أنها لم تبلغ درجة الكمال التى جاءت بها الشريعة الإسلامية الغراء، ذلك لأن مقررات هذه الشريعة تتغيا من وراء ذلك إشعال جذوة الرأفة فى قلوب الناس والتقرب إلى الله بالإحسان

إلى سائر مخلوقاته ، فقد روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله رفيق يحب الرفق فى الأمر كله» متفق عليه . كما شددت الشريعة الاسلامية النكير على أولئك الذين يتجاهلون هذه القواعد والاحكام ويسيئون الى الحيوان بشكل او بأخر .

ولقد ضرب المسلمون أروع الأمثلة فى الرفق بالحيوان فهناك من أجار الجراد ، ومنهم من كان يفت الخبز للنمل ويقول : إنهن جارات ولهن حق ، ومنهم من كان يرى أن الطريق مشترك بينه وبين الكلب ، وليس من حقه أن ينحيه عنه ، ولا عجب فقد تلقوا مبادئ الرفق بالحيوان من الرسول الكريم الذى جعل الإحسان إلى الحيوان والرفق به عبادة من العبادات تكاد تصل الى أعلى الدرجات ، فمن ذلك حديث أبى هريرة عن رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه الحر فوجد بئرا فنزل فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ منى فنزل البئر فملأ خفة ماء ثم أمسكه بفية حتى رقى فسقى الكلب فشكر الله له » .

فقالوا: يارسول الله (إن لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : فى كل كبد رطبة أجر) رواه البخارى ومسلم وأبو دواد وابن حبان فى صحيحه .

وفى رواية : (فشكر الله له ، فأدخله الجنة) .

وأخرج مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة بسنده إلى أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (إن امراة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطيف ببئر قد ادلع لسانه من العطش فنزعت له بموقها (اى استقت له بخفها) فغفر لها [يطيف : يدور حولها ، أدلع لسانه : أخرجه لشدة العطش] نعم غفر الله لتلك البغى ذنوبها بسبب ما فعلته من سقى الكلب .

ثانيا : أهمية الثروة الحيوانية بالنسبة للإنسان :

مما لاشك فيه أن الثروة الحيوانية تمثل بالنسبة للإنسان عنصرا هاما من عناصر حياته المستقرة والمستمرة ، فهذه الثروة على تعدد أنواعها واختلاف صنوفها مهمة للإنسان فى مختلف مجالات حياته وسنشير إلى بعض هذه الجوانب بقدر ما تتسع له صفحات هذا البحث على النحو التالى :

١. الأغراض الغذائية :

وهذا غرض أصيل من الأغراض المنوطة بالثروة الحيوانية ، يستوى فى ذلك الحيوانات البرية والبحرية والطيور ، وقد حفل القرآن الكريم والسنه النبوية ببيان ذلك وتجليته فى

أوضح صورة ، وهو ما يمكن أن نطلق عليه بلغة العصر الأمن الغذائى. والنصوص فى هذا الباب كثيرة وفيرة ينفرد بعضها بالإشارة إلى بيان نوع من الفوائد وبعضها الأخر يجمل لنا هذه الفوائد وتتمثل الأغراض الغذائية فى شرب ألبان الأغنام واكل لحومها هذا فضلا عن أكل لحوم البعض الآخر ومنتجاته يقول الله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾ [يس: ٧١ ، ٧٣].

ويقول أيضا : ﴿ الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون * ولكم فيها منافع ولتلبغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ [غافر : ٧٩ ، ٨٠].

ويقول: ﴿ وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغاً للشاربين ﴾ [النحل: ٦٦].

ويقول جل ذكره: ﴿ وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون ﴾ [المؤمنون: ٢١].

ويقول الفتاح العليم: ﴿وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا﴾ [النحل: ١٤].

ويقول أيضا: ﴿وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها﴾ [فاطر: ١٢].

وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: « أحلت لنا ميتتان ودمان : الكبد والطحال ، والسمك والجراد » رواه الإمام الشافعى والإمام احمد والدار قطنى من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا .

وهذا الحديث يدلنا على حل أكل لحم الجراد ، والجراد كما نعلم نوع من انواع الحشرات.

٢. الأغراض الوقائية:

حيث تستخدم الملابس والمساكن من جلود الأنعام والحيوان ومن أصوافة واوباره وأشعاره، وكل هذه المنتجات تمتاز بخفة الحمل وسهولة النقل وكل هذا يجعلها صالحة فى الحل والترحال وهى تقى الإنسان الحر والبرد بصورة جيدة يقول الله تعالى : ﴿ وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين ﴾ [النحل: ٨٠].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن استخدام بعض المنتجات الحيوانية كالزيوت والشحوم يعتبر مصدراً هاماً من مصادر الطاقة عند تناوله أو عند استخدامها فى الإضاءة كزيت السمك

ولحوم الحيوانات الأخرى وأهونها كما أن الألبان تعتبر من مصادر هذه الدهون المهمة في التغذية الإنسانية وكذلك تستخدم شحوم بعض الحيوانات فى تصنيع المنظفات كالصابون ونحوها .

٣. أغراض الحمل والركوب :

وفى هذا المعنى يقول الله تعالى: ﴿ أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون* وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾ [يس ٧١ ، ٧٣].

ويقول الله تعالى : ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون﴾ [النحل: ٨].

ثالثا: منجزات الحضارة الإسلامية في مجال الثروة الحيوانية .

نظرا لاتساع رقعة العالم الإسلامي بعد الفتح ، واختلاط عرب الجزيرة الفاتحين بغيرهم من سكان تلك الأقطار ، ونظرا لتفاوت هذه الاقطار في مواردها الزراعية والحيوانية تبعا الاختلاف ظروفها الطبيعية ، الأمر الذي جعلها مجالا طيبا لتنوع الثروة الحيوانية وتتعددها ، فقد أدرك علماء الأمة الإسلامية أن عليهم واجباً مقدسا وملحا نحو الاستفادة الحقيقية من هذا التنوع الحيوي والجغرافي ، عملا وأملا في استتباب الأمن الغذائي الغذاء والكسائي مع تأمين حركة النقل والاتصال والمواصلات في ربوع هذه الأقطار، التي يتكون منها الوطن الإسلامي الفسيح ، وهذه قاعدة ضرورية ومهمة في هذا الصدد، وذلك حتي تحقق الأمة الإسلامية الاستخلاف الصحيح في الأرض، والعمل وفق شرع الله ومقررات الدين الحنيف ، وحتي تتبوأ مكانتها الصحيحة والصبيحة في دنيا الناس ، باعتبارها الأمة الخاتمة ، التي حباها الله الخيرية ولم يكن ذلك كله مجرد فورات عاطفية ، أو تورات خيالية ، وإنما كانت كل منجزاتهم علي أرض الواقع المعاش ، وتتسم بالتنظيم العلمي الدقيق ، ومن أجل هذا فقد قاموا بإنجاز المهام التالية:

١ – الحصر الدقيق والشامل للثروة الحيوانية

قام علماء الأمة في تلك المرحلة بإجراء الحصر الشامل للثروة الحيوانية في مختلف أقطار الأمة الإسلامية ، وقد أتاح لهم ذلك أن يتعرفوا علي السلالات الحيوانية الجيدة في مستويات إنتاجها ، في بيئاتها المختلفة ، والعمل علي تبادل هذه المعلومات ، ووضعها موضع

الاعتبار يغرض الاستفادة منها بالصورة المناسبة ، كما كانت لهم تجارب فردية في هذا المجال تعتمد علي النظرة الثاقبة ، الأمر الذي أتاح لهم الوقوف علي قاعدة بيانات جيدة ، وهذا الأمر علي غاية الأهمية في هذا المجال .

وسنقدم مزيد بيان لهذه النقطة عندما نتحدث عن جهود علماء المسلمين في هذا الصدد.

٢- الاستفادة من التنوع الحيوي والجغرافي:

ولقد تم بذل المحاولات الجادة للاستفادة من حيوانات الوطن الإسلامي بصورة أفضل، وذلك عن طريق تحسين كفاءتها الإنتاجية والحيوية من جهة ، والعمل علي إكثار هذه الثروة في ربوع الوطن الإسلامي من جهة أخري وذلك من خلال استخدام الكثير منها في الوفاء بأغراض الأمن الغذائي ، وتامين وسائل المواصلات ، وأدوات الجهاد (كالإبل والخيول وغيرها) كل ذلك من خلال العمل التجريبى الدؤب ، والاستفادة بكل ماهو متاح في أغراض التربية .

٣- الاستفادة بالتنوع البيئ :

لقد أدرك علماء الأمة الإسلامية بصادق حسهم ، وعميق فهمهم أن للبئية تأثيرا مهما علي الثروة الحيوانية ، وهذا أمر محمود ومشكور لهم ، وعليه فإنهم قد قاموا فعلا بالعمل علي نقل بعض السلالات الحيوانية من بئياتها الأصلية التي توجد بها ، إلي مواطن أخري جديدة ، لم تكن قد عاشت بها من قبل ، فكانت النتائج مبهرة وسارة وفعالة للغاية ، ومن أعمالهم التي قاموا بها فى هذا الصدد نذكر ما يلي:

أ) قتل الأغنام:

قاموا بنقل الأغنام من مواطنها الأصلية علي شواطئ البحرين الأسود والأبيض في كل من : تركيا ، بلاد الشام ، الأناضول ، حيث نقلوها إلي أسبانيا (الأندلس) وكانت المفاجأة المذهله ، حيث جاءت تربية الأغنام في هذه المنطقة بصورة منقطعة النظير ، فقد أصبحت هذه البلاد موطنا ممتازا لإنتاج أجود أنواع الصوف الفاخر والناعم ، وهذا المنتج علي جانب كبير من الأهمية حيث استتباب الأمن الكسائي ، وهذا عمل مشكور يشهد ليد ، ويدل علي بعد النظر ، وثاقب الفكر .

ب) نقل الجمال :

من المعلوم أن الجمال نوعان : الجمل العربي *Camelus dromedrius* وهو الجمل ذو السنام الواحد ، وموطنه الأصلى الجزيرة العربية ، والنوع الثاني هو الجمل ذو السنامين ويطلق عليه الباكترى *Camelus bacterianus* وموطنه الاصلى أواسط آسيا ، ولما كان الجمل ذو السنام الواحد (هو رمز العروبة الخالد وخادم الاسلام الامين فهو دابة رسول الله ﷺ فى هجرته وغزواته وعلى سنامة انطلق المسلمون الاوائل فى ربوع شبه جزيرة العرب يدعون إلى الدين وحين آن أوان الفتوحات البارکة ومنازلة أعداد الله خارج شبه الجزيرة مضى هذا الحيوان المجاهد المثاير يحمل جيوش الاسلام وينقل عتادها عبر البوادى المترامية الأطراف لتذود عن دعوة الحق وتحمى أطراف الدولة الفتية وتحرر الأمصار من نير الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية أى أن المسلمين الأوائل قد قاموا بالعمل على انتشار رقعة وجود هذا الحيوان خارج الجزيرة العربيةشرقا إلى بلاد الهند وغربا إلى البلاد المتاخمة للصحراء الكبرى فى أفريقيا مع ملاحظة أن هذا الجمل كانت له عوامل ساعدت على انتشاره وهى الأغراض التى سبقف الاشارة إليها .

ج) نقل الخيل:

كذلك تم نقل الحصان العربى من موطنه الاصلى بالجزيرة العربية الى كثير من بقاع العالم كالشام ومصر والاندلس وصقلية واوربا .

فالحصان العربى ينسب إلى العرب وخاصة البدو الذين يعيشون بالقرب من صحراء التفوا والدهناء والربع الخالى من الجزيرة العربية فقد قاموا بتربية الحصان والمحافظة عليه كما بالغوا فى حرصهم على نقائه فلا يختلط بدماء اخرى وهذا هو السر الذى اكسب الحصان العربى الجمال والقوة ولقد ساعدت طبيعة الجزيرة العربية هؤلاء السكان على اقتناء الخيل مهما كلفهم ذلك حيث بعد المراعى ومضارب الخيام وكانت الخيل عندهم فى منزلة الابن والزوجة يقول عنتره بن الشداد:

أفقى دوثه المنايا بنفس وهو يغشى بنا صدور العوالى

د) جلب الابقار والجواميس :

كذلك تم جلب الابقار من مواطنها الاصلية بكل من الهند والعراق والشام ومصر وشمال افريقيا والاندلس الى مناطق اخرى لم تكن موجودة بها من قبل .

ولقد ساهم ذلك كله فى الاستفادة بالتنوع البيئى فى تنمية الثروة الحيوانية .

٤- اتباع برامج التربية :

من الأمور اللافته للنظر حقا ما قام به المسلمون الاوائل من اعلاء الصرح الحضارة الاسلامية فى مجال الثروة الحيوانية من اتباع برامج تربية الحيوان والنبات بصورة دقيقة ووفقا للأساليب العلمية الحديثة فى التربية ولا تكون مبالغين اذا قلنا انهم قد وصقوا الاسس العملية والتطبيقية لهذا الفن من الدراسة فقد عرفوا تأبير النخل والمحافظة على السلالات الحيوانية الجيدة من خلال تصميم سجلات النسب التى تصونها من الاختلاط ونحن نذكر لهم فى هذا الصدد مايلى :

أ) تربية الخيول العربية :

نظرا لشهرة العرب التى طبقت الافاق فى الفروسية فضلا عن حاجاتهم الملحة لاقتناء الخيول فى الكر والفر والحل والترحال فقد عملوا على اقتناء الخيول العربية ولهم فى ذلك قصب السبق فقد كانوا يعنون ببرامج التربية ويحتفظون بسجلات الانساب على ما هو مشهور وثابت والغريب انهم كانوا يحفظون انساب هذه الخيول اولا عن طريق الرواية ثم بعد ذلك جاءت مرحلة التدوين ولهم فى ذلك فراسة ومران عجيب ومن الامور التى ضاعفت من جهد الخيل واقتنائها والمحافظة على نقاء السلالة تلك الاشارات السامية التى وردت فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فقد جاء فى الحديث الشريف : (كل لهو ابن ادم باطل الا تأديبة فرسة وملاعبته اهله ورمية عن قوس) ويقول رسول الله ﷺ : (الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة واهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة) ولهذا فقد اجتمع للعرب فى حب الخل جهتان : حب من جهة الطبع ، فهم يحبونها بطبعهم ، وحب من جهة الشرع ، على نحو ما حببهم من قبل الرسول الكريم ﷺ. وقد اشتد ابو عمر بن عبد البر لابن عباس قوله .

احبوا الخيل واصطبوا عليها فإن العز فيها والجمالا
اذا ما الخيل ضيعها اناس ربطناها فأشركت العيالا
نقاسمها المعيشة كل يوم ونكسوها البراقع والجلالا

وقال بعض الحكماء : (ثلاثة لايأنف الشريف من خدمتهم : الولد والضيف والفرس).

ب) تربية الحمام الزاجل (حمام الرسائل) :

لقد اهتم الخلفاء الفاطميون فى مصر بأمر الحمام وتربيته وتعليمه حيث افرد واله ديوانا وجرائد خاصة بأنساب الحمام كما يقول القلقشندى .

والحق ان الحمام وان كانت بعض الشعوب القديمة التى سبقت العرب المسلمين قد استخدمته فان الشعوب الاسلامية قد وسعت دائرة استخدامة وعملت على رياضته وتدجينه وتعليمة بصورة غير مسبوقة حتى انه قد اصبح وسيلة هامة من وسائل الاتصال فى السلم لاغراض التجارة وفى الحرب كذلك كله من اهمية قصوى فى نقل الاخبار المتعلقة بالاسعار وبالاعداء واستعداد دائهم الحربية فشيدوا لذلك الابراج الخاصة والتى تعتبر بمثابة محطات استراحة فى مختلف اتحاد الاعصار والمدن الكبرى والصغرى هذا فضلا عن مناطق الثغور البحرية .

وقد برع العرب فى هذا الفن حيث تمكنوا ان الاستخدامات العلمية فى نقل الرسائل البريدية والمعلوماتية بيسر بواسطة هذه الطيور المدربة بكفاءة واقتدار اتقنوا ذلك مثل القرن الثانى البحرى على اقل تقدير ويعتبر الخليفة المهدى ثالث خلفاء بنى العباس اول نظم استخدام الحمام فى البريد الرسمى وكان ذلك فى القرن الثامن الميلادى اما الخليفة العباسى المعتصم بالله فقد قام بتدريب الحمام الزاجل بشكل دقيق وسريع بواسطة اناس متخصصين فى تربية الحمام وتدريبه على نقل الرسائل من بغداد الى الموصل والعكس .

والحديث عن حمام الرسائل حديث ذو شجون وحتى لانبالغ فى الاستطراد فاننا نذكر شهادة عالم الاثار الانجليزى (هيوبرت برد) انقلها بتصرف من بحث للاستاذ عادل محمد الشيخ ضمن اعمال القدرة القومية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب والتى يقول فيها ان تفكر اوروبا فى استخدامه رسميا وقد افرد له خلفاء مصر ديوانا خاصة وارسلوا بواسطته رسائل رمزية على قصاصات من الورق الرقيق من القاهرة الى القسطنطينية والبصرة وغيرها كما عين للحمام الزاجل موظفون لديهم دفاتر بأنساب الحمام ويفد المسافات التى ارسلت اليها ذلك ان تعجب كيف كان الحمام يحمل الرسائل الامة الى مسافة الف ميل من البصرة الى القسطنطينية ومن بغداد الى جميع انحاء العالم العربى ان الذى اعانه على ذلك هو انشاء ميلا على طول طرق القوافل فى جميع البلاد الاسلامية وقد استخدم التجار الاوربيون فى الإسكندرية الحمام الزاجل فى نقل الرسائل الى قناصلهم فى صلب يعلمونهم فيها بمواعيد وصول السفن المحملة بالبضائع وكانت هذه الطيور تصل حلب بهذه الرسائل فى ظرف اربع ساعات بدلا من اربعة ايام لو ارسلت بالبريد الارضى .

كما ان يحتفظ بالطيور لاستخدامها فى وقت الخطر والعدوان على القوافل حيث كان رئيس القافلة ان يطلق هذه الطيور فى اللحظة التى يداهمة فيها الخطر فى الصحراء لكى يطلب النجدة من اخر مدينة غادرها .

وقد نظم السلطان نور الدين الذى ولى حكم مصر عام ١١٤٦م نقل البريد الحكومى والرسمى بشكل بديع ومنسق حيث انشأ محطات للحمام الزاجل فى اهم طرق الدولة وكانت هذه المحطات عبارة عن ابراج غاية فى الجمال يرتفع البرج فيها من ٥ ــ ١٠ امتار ، وعرض البرج ٢٠ ــ ٣٠ مترا مربعا وهى مقسمة الى اعشاش وملاجئ تحيط بمساحة واسطة فى الوسط لوضع الماء والغذاء وكانت مشيدة من الخشب وهى تمثل معماريا اسلاميا رائعا وفريدا فى نوعه كما كان ينقش على منقار الحمام اسم السلطان وتوضع بأرجلها ارقام يسهل تميزها عن طريقها .

والمتبع لهذه المسألة يجد انها تمثل نوعا من التقنيات الطائلة والمؤهلة تتمثل فى اختيار أنواع الأوراق التى تتم الكتابة عليها وكذلك انواع الاحبار التى يتم استخدامها فى ذلك هذا فضلا عن الشفرة الكودية التى يتم التعامل بها فى هذه الرسائل وما يقومون به من احتمالات لفقد هذه الطيور وبالتالى فقد الرسائل التى تحملها سواء هذا عن طريق الطيور الجارحة او صيد الصيادين حيث كانوا يطلقون الحمام على دفعات بذات الرسائل وكذلك الحسابات الدقيقة التى اعتمد عليها بناء هذه المحطات والمسافات البينية بين كل محطة بحيث تصلها الطيور نهارا وتقضى الليل فى هذه المحطات وما يتبع ذلك من مدى طيران هذه الطيور Flight range فهذا يدلنا بحق وصدق على ان هذه العقول كانت مبتكرة وتستضئ بنور الله .

٥- تأليف دوائر المعارف الزراعية (كتب الفلاحة) :

لقد انفرد علماء العرب والمسلمين بتألف الكثير من كتب الزراعة التى تعرف فى التراث الاسلامى بكتب الفلاحة وللاتصالات فاننا نقول : ان هذه الكتب ما هى الا موسوعات زراعية او دوائر معارف زراعية حيث كانوا يضمونها اهتماماتهم بمختلف النواحى الزراعية التى تخدم الانتاج الزراعى بشعبة النباتى والحيوانى فقد اهتموا فيها بتربية الحيوان وبيطرته من حيث العناية بصحته وعلاجه .

٦- دفع عجلة التكامل بين افكار الامة الاسلامية :

لقد استفاد هؤلاء العلماء من تنوع الثروات فى الافكار الاسلامية استفادة عظيمة فقد اسهم ذلك كله فى اتساع نطاق التبادل التجارى بين افكار الوطن الاسلامى الكبير على نحو يمكن ان

نطلق عليه بلغة العصر :السوق الاسلامية المشتركة فكانوا بحق وصدق يسبقون عصورهم فى العمل الجاد فى التكامل والابتكار والتفوق ويسخرون ذلك كله لخدمة الاركان وخدمة بنى الانسان على نحو غير مسبوق لاعلى نحو ما يعظم غيرهم فى هذا الزمن من اقامة تلك التكفلات البغيضة التى تستهدف بالدرجة الاولى بتلك التكفلات فى مختلف شئون الحياة كالسوق الأوروبية المشتركة وغيرها من تلك المسميات التى لم تجن البشرية من ورائها الا الكوارث والنكبات فهما هى ذى المجاعات تنتشر فى كثير من ارجاء العالم الى حد ابادة الشعوب باكملها من جراء الجوع .

فهل للأمة الإسلامية ان تثوب الى رشدها وتستشعر نعم الله عليها وان موقعها الجغرافى ينتح لها موقعا فى دنيا الناس تثم تعمل بجد واخلاص على الاستفادة بمواردها على نحو ما استفاد به سلفا الصالح نرجوا الله ان يكتب لنا التوفيق وان تربط حاضرنا بما وما ذلك على الله بعزيز .